فجأة : قد اعتُبِط ، ويقال للذبيح : أعَبِيطٌ أم عارضة . قال : والعَبِيط : الذى يُنْحَر أو يُذْبَح من غير علة . والعارضة : أن يذبح من مرض ، ومنه قول أُميَّة :

من لم يَمُتْ عَبْطةً يمت هَرَمـا للموتِ كأسٌ والمَرْء ذائقُهـا

وقوله أَصْدع أى أشقُّ . والقينة : الأَمَة مُغَنِّية كانت أو غير مُغَنِّية . وقوله : شمَّصَها ، قال ويروى : شَمَّصَها وشمَّسَها وهما واحد والسين أجود ، ويروى : نَفَّرها القنا . وقوله : * وعادية سوم الجراد وزعتها * قال : والعادية : القوم يَعْدُون . وسَوْمُ الجراد : انتشارُه فى المَرْعَى ، كما قال العجاج :

* سَوْم الجَرَاد الشَّدّ يَرْتَاد الخُضَر *

وقوله : وَزَعْتها أى كَفَفْتها ، والوازع : الكافُّ المانع ، ويروى أن الحسن رحمه الله تعالى لما وَلِىَ القضاء قال : لابُدَّ للسلطان من وَزَعة . وقوله : وقد أنْحَوا إلىَّ العَواليا . أنحوا : أمالوا وقصدوا بها . والعالية من الرمح : أعلاه وهو ما دون السنان بذراع . وقوله : لخيلى كُرِّى نَفِّسى ، قال ويروى : قاتلى . وقوله : ولم أَسْبَأْ الزِّق ، السِّباءُ : اشتراء الخمر .

[قصة مالك بن الريب الشاعر وصحبته لسعيد بن عثمان بن عفان إلى خراسان وقصيدته التى قالها وهو مريض يذكر مرضه وغربته]

قال أبو على : وقرأت قصيدة مالك بن الرَّيْب التى أوّلها : * ألا لَيْتَ شِعرِى هل أبِيتَنَّ ليلةً * على أبى بكر بن دريد ولها خبرأنا ذاكره ، قال قال أبو عبيدة : لما وَلَّى أميرُ المؤمنين معاويةُ بنُ أبى سفيانَ سعيدَ بنَ عثمان بْنِ عفان رضى الله تعالى عنهم خراسان ، سار فيمن معه فأخذ طريقَ فارس ؛ فلقيه بها مالك بن الرَّيْب بن حُوط بن قُرْط بن حِسْل بن رَبيعة بن كابِيَة بن حُرْقُوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وأمه شَهْلة بنت سَنِيح بن الحُرِّ بن ربيعة بن كابية بن حرقوص ابن مازن . قال : وكان مالك بن الريب فيما ذُكِر من أجمل العرب جَمَالا وأبْيَنِهم بيانا ، فلما رآه سعيد أعجبه . وقال أبوالحسن المدائنى : بل مرّ به سعيد بالبادية وهو منحدر من المدينة يريد البصرة حين ولّاه معاوية خراسان ومالك فى نَفَر من أصحابه ، فقال له : وَيْحَك يامالك ! ما الذى يدعوك إلى ما يَبْلُغنى عنك من العَدَاء وقَطْع الطريق ؟

قال : أَصلح اللهُ الأَمير ، العجزُ عن مكافأَة الإِخوان .قال : فإِن أَنا أَغْنَيْتُك واستصحبتك أَتَكُفُّ عما تفعل وتتبعنى ؟ قال : نعم ، أَصلح الله الأَمير ، أَكُفُّ كأَحسنِ ما كَفَّ أَحد ، فاستصحبه وأَجرى عليه خمسمائة دينار فى كل شهر ، وكان معه حتى قُتِل بخراسان . قال : ومكث مالك بخراسان فمات هناك ، فقال يَذْكُر مَرَضه وغُرْبته . وقال بعضهم : بل مات فى غَزْو سعيد ، طُعِن فَسَقَط وهو بآخر رَمَق ، وقال آخرون : بل مات فى خان ، فرَثَتْه الجانُّ لِمَا رأَت من غُرْبته وَوَحْدته ، وَوَضعت الجنُّ الصحيفةَ التى فيها القصيدة تحت رأْسه ، والله أَعلم أَىّ ذلك كان ، وهى هذه :

أَلا لَيْتَ شِعْرى هل أَبِيتَنَّ ليلةً ... بجَنْب الغَضَى أُزْجِى القِلاصَ النَّوَاجِيَا
فَلَيْتَ الغَضَى لم يَقْطَع الرَّكبُ عَرْضَه ... ولَيْتَ الغَضَى ماشَى الرِّكاب لَيَالِيَا
لقد كان فى أَهل الغَضَى لو دنا الغضى ... مَزَارٌ ولكِنَّ الغضى ليس دانيا
أَلم تَرَنِى بِعْتُ الضَّلالَةَ بالهُدَى ... وأَصْبَحْتُ فى جَيْشِ ابن عَفَّان غازيا
وأَصبحت فى أَرض الأَعادِىِّ بعْدَ ما ... أَرَانِىَ عن أَرض الأَعادىِّ[1] قاصيا
دعانى الهوى من أَهل أُودَ وصُحْبَتِى ... بِذِى الطَّبَسَيْن فالْتَفَتُّ ورائيا
أَجَبْتُ الهوى لَمَّا دعانى بزَفْـــرة ... تَقَنَّعْتُ منها أَن أُلام رِدَائيـــا
أَقول وقد حالت قُرَى الكُرْدِ بَيْنَنـــا ... جَزَى الله عَمْرًا خيرَ مَاكان جازيا
إِن اللهُ يَرْجِعْنِى من الغَزْوِ لا أُرَى ... وإِن قَلَّ مالى طالبا ما ورائيـــا
تقول ابْنَتِى لَمَّا رأَتْ طُولَ رِحْلَتِى ... سِفَارُك هذا تارِكِى لا أَبَا لِيـــا
لَعَمْرِى لئن غالت خُرَاسانُ هامَتِى ... لقد كُنْتُ عن بابَىْ خراسان نائيا
فإِن أَنْجُ من بابَىْ خُرَاسانَ لا أَعُــدْ ... إِليها وإِن مَنَّيْتُمونِى الأَمانِيَـــا

---

(١) الأعادى : الياء تشديدها فيه وفى الذى بعده لاقامة الوزن ، والتشديد هو الأصل فى الكلمة لأنها جمع أعداء ؛ وجمع أفعال أفاعيل .

فلله دَرِّى يوم أَتْرُكُ طائعـــا   بَنِىَّ بأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ وماليـــا
ودَرُّ الظِّبَاءِ السانحات عَشِيَّـــةً   يُخَبِّرْن أنى هالكٌ مَنْ ورائيـــا
ودرُّ كبيرَىَّ اللَّذَيْن كِلَاهمـــا   عَلَىَّ شفيقٌ ناصحٌ لو نَهَانيـــا
ودرُّ الرجال الشاهِدِين تَفَتُّكِى   بأمرِى ألا يَقْصُروا مِنْ وَثَاقيـــا
ودرُّ الهوى من حيث يدعو صحابتى   ودرّ لَجَاجاتى ودرّ انْتهائيـــا
تَذَكَّرْتُ من يَبْكِى عَلَىَّ فلم أجد   سوى السيف والرُّمْح الرُّدَيْنِىِّ باكيا
وأَشْقَرَ مَحْبُوكا يَجُرُّ عِنَانَـــه   إلى الماء لم يَتْرُكْ له الموتُ ساقيا
ولكن بأكناف السُّمَيْنة نِسْـــوةٌ   عزيزٌ عليهنّ العَشيَّةَ مابيـــا
صَريعٌ على أيدى الرجال بقَفْـــرة   يُسَوُّون لَحْدى حيث حُمَّ قضائيا
ولَمَّا تَراءَتْ عند مَرْوٍ مَنِيَّتى   وخَلَّ بها جِسْمِى وحانت وَفَاتِيـــا
أَقول لأَصحابى ارْفَعُونى فإنـــه   يَقَرُّ بِعَيْنِى إنْ سُهَيْلٌ بدا ليـــا
فيا صاحبَىْ رَحْلِى دنا الموت فانْزِلا   بِرَابِيَةٍ إنِّى مُقِيمٌ لياليـــا
أَقيما عَلَىَّ اليومَ أو بَعْضَ ليـــلةٍ   ولا تُعْجِلَانى قد تَبَيَّن شانيـــا
وقُوما إذا ما اسْتُلَّ رُوحى فَهَيِّئا   لِىَ السِّدْرَ والأَكفانَ عند فَنَائيـــا
وخُطَّا بأَطراف الأَسِنَّة مَضْجَعِى   ورُدّا على عَيْنَىَّ فَضْلَ ردائيـــا
ولا تَحْسُدانى بارَكَ الله فيكما   من الأَرض ذات العَرْض أن تُوسعا ليا
خُذَانى فَجُرَّانِى بثـــوبى إليكما   فقد كُنْتُ قبلَ اليوم صَعْبًا قِيَادِيا
وقد كُنْتُ عَطَّافا إذا الخيل أَدْبَرَتْ   سَرِيعًا لَدَى الهَيْجَا إلى من دَعَانِيا
وقد كنت صَبَّارا على القِرْنِ فى الْوَغَى   وعن شَتْمِىَ ابنَ العَم والجارَ وانيا
فَطَوْرًا ترانى فى ظِلَالٍ ونَعْمَـــة   وطَوْرًا ترانى والعِتاقُ رِكَابيـــا
ويَوْمًا ترانى فى رَحًا مُسْتَدِيـــرة   تُخَرِّق أطرافُ الرِّمـــاحِ ثيابيا
وقُومًا على بئر السُّمَيْنَةِ أَسْمِعـــا   بها الغُرَّ والبِيضَ الحِسَانَ الرَّوَانيا

بأنّكما خلّفتمانى بقفرة تهيل على الريح فيها السّوافيا
ولا تنسيا عهدى خليلىّ بعد ما تقطّع أوصالى وتبلى عظاميا
ولن(١) يعدم الوالون بثًّا يصيبهم ولن يعدم الميراث منّى المواليا
يقولون لا تبعد وهم يدفنوننى وأين مكانُ البُعْد إلّا مكانيا
غداة غدٍ يا لهف نفسى على غد إذا أدلجوا عنّى وأصبحتُ ثاويا
وأصبح مالى من طريفٍ وتالدٍ لغيرى وكان المال بالأمس ماليا
فياليت شعرى هل تغيّرت الرحا رحا المثل أو أمست بفلج كما هيا
إذا الحىُّ حلّوها جميعا وأنزلوا بها بقرًا حُمَّ العيون سواجيا
رعين وقد كاد الظلام يجنّها يسفن الخزامى مرّةً والأقاحيا
وهل أترك العيس العوالى بالضحى بركبانها تعلو المتان الفيافيا
إذا عصب الرّكبان بين عنيزة وبولان عاجوا المبقيات النّواجيا
فياليت شعرى هل بكت أمّ مالك كما كنتُ لو عالوا نعيّك باكيا
إذا متّ فاعتادى القبور وسلّمى على الرّمس أسقيت السحاب الغواديا
على جدثٍ قد جرّت الريحُ فوقه ترابا كسحق المرنبانىّ هابيا
رهينة أحجارٍ وتُرب تضمّنت قرارتها منّى العظام البواليا
فيا صاحبا إمّا عرضت فبلّغا بنى مازنٍ والرّيب أن لا تلاقيا
وعرّ قلوصى فى الرّكاب فإنها ستفلق أكبادا وتبكى بواكيا
وأبصرت نار المازنيّات موهِنًا بعلياء يثنى دونها الطّرفُ رانيا
بعود ألنجوجٍ(٢) أضاء وقودُها مهًا فى ظلال السّدر حورًا جوازيا
غريبٌ بعيدُ الدار ثاوٍ بقفرة يد الدّهر معروفا بأن لا تدانيا
أقلّب طرفى حول رحلى فلا أرى به من عيون المؤنسات مراعيا

(١) فى معجم ياقوت بدل هذا الشطر : ولن يعدم الوالون بيتا يجننى .
(٢) الألنجوج واليلنجوج : عود الطيب يتبخر به .

وبالرَّمْـل مِنَّـا نِسْوة لو شَهِدْنَنى بَكَيْن وفَدَّيْن الطبيبَ المُداوِيـا
وما كان عهد الرَّمْل عندى وأهْلِه ذَمِيا ولا وَدَّعْت بالرمل قاليـا
فَمِنْهُنَّ أُمِّى وابْنَتَاىَ وخـالتى وباكيةٌ أُخْرَى تَهِيج البـواكيا

قال أبو على : قوله بجنب الغضى ، الغضى : شجر ينبت فى الرمل ولا يكون غضى إلَّا فى الرمل . وأزْجِى : أسوق ، يقال : أزجاه يُزْجيه إزجاء وزَجَّاه يُزَجِّيه تزْجِية . والنَّوَاجِى : السِّرَاع وقوله :

* فَلَيْتَ الغَضَى لم يقطع الرَّكْبُ عَرْضـه *

قال يقول : ليته طال عليهم الاسْتِرْواح إليه والشوق . والرِّكاب : الإبل ، وجمعها ركائب . وقال :

تقول وقد قَرَّبْت كُورِى وناقتى إلَيْكَ فلا تُذْعِرْ عَلَىَّ رِكابِيَـا

وقوله : * وليت الغضى ماشى الركاب لياليا * أى ليته طاوَلَهُمْ . وقوله : * لقد كان فى أهل الغضى لو دنا الغضى * مَزارٌ ، يقول : لو دَنَوْا قَدَرْنا أن نَزُورهم ، ولكنَّ الغضى ليس يدنو ، وهذا على التلهف والتشوّق . وقوله : ألم تَرَنى بِعْتُ الضَّلالة بالهدى * وأصبحت فى جيش ابن عفان... يعنى سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، يقول : بعت ماكنت فيه من الفتك والضلالة بأن صرت فى جيش ابن عفان . وأود : موضع . والطَّبَسَان : بخراسان أو قريبا منها ، يقول ، دعانى هواى وتَشَوُّق من ذلك الموضع وأصحابي بموضع آخر . وقوله : تَقَنَّعْت منها ، معناه لما ذكرت ذلك الموضع اسْتَعْبَرْت فاستحييت فتقنَّعت بردائى لكى لا يُرَى ذلك منِّى ، كما قال الشاعر :

فكائِنْ تَرَى فى القوم من مُتَقَنِّع على عَبْرة كادت بها العين تَسْفَح

وقوله : إن اللهُ يَرْجِعْنِى ... البيت ، يريد : لا أُسافر وأُقيم وأَقْنع بما عندى. وقوله : لا أبا ليا ، تقول العرب : قُمْ لا أَبَ لك ولا أبالك على توهم الإضافة ، كما قال الشاعر :

* يا بُؤْسَ للجهـل ضَرَّارًا لأقـوام *